المكان في مجموعة (عندما تحترق القناديل)
لحسن عبد الله القرشي

م.م. مريم عبد النبي النجار
مركز دراسات الخليج العربي ــ جامعة البصرة

مدخل //

قراءة المكان في [عندما تحترق القناديل] استشفاف شعري لمتواليات تنفتح على تكوينات خاصة تمتلك الأنا لتعيد بناء تجربة الذات في المكان النفسي المهيمن على الذاكرة .

يبدو البناء النصّي عبر توظيف هذا المنحنى واجهة تعيد تصوير تجذّرات في النفس لمعاناة تفتح في آفاق النص أسئلة تمتلك مساراتها أبعاداً خاصة في الذات الشاعرة .

ويؤسس النص أفكاره باستلهام البعد المكاني ليستكمل دلالات تنثّها تراكمات الماضي لإعادة نمذجة متواليات المكان وما يفتحه من هواجس في الذات . فيتفتح البعد المكاني عبر البناء الداخلي للنص باعتباره شفرة تنتج قيماً مضمرة في سياقات النص ترشّح أبعاد تجربة الأنا بتوصيفها فنيا في ذاكرة القصيدة ، وعبر تواشج ذاكرة المكان مع الزمان حين ينتج بنية خاصة تعيد بناء التجربة النفسية في قالب النص ، الذي يكشف عبر توظيف ثيمات خاصة للمكان إيديولوجية الشاعر وانتمائه إلى أفكار تنفتح في فضاءات القصيدة ليضع عبر آفاقها مكامن وعيه الخاص الذي يترشح في مفاصل النص وأبعاده ، ((ويمكن القول بأن وعي الإنسان بوجوده كإنسان لا يتم إلا عندما يعي محددات وجوده الحقيقية ، أي عندما يعي كيانه المتجسّد ، فالجسد هو ما يسمح للزمان بأن يتنضّد على المكان ، أي أنه نقطة اقتران الزمان بالمكان)) [1] .

ومسار النص الدلالي في توظيف البعد المكاني يشف عن دعوة الأنا لفتح فضاءات الكلمة الشاعرة وتعميق دورها في كشف مفاصل الزيف والخواء في حاضر الأنا ، الذي يرشح هواجس الألم في الذات المهشمة . جاء الخطاب الدلالي عبر ثيمات المكان في المجموعة مفتوحا على حوارات النفس في صراعها مع واقع حزين ، ينزّ عن متغيرات أنتجتها الحضارة عبر بناها المتسارعة التي فتحت في ذات الإنسان أزمات كبرى . ويتشظى النص عبر البعد المكاني للتجربة المصوَّرة في سطح القصيدة إلى أنساق خاصة تأخذ من دلالة المكان المنتقى رمزاً ينثّ على دلالات النص أبعاداً تعمّق مفاهيمها تأخذ من اغتراب الأنا الشيء الكثير ، فيبدو الاغتراب في دلالات النص النهائية عبر توظيف البعد المكاني رؤيا لمتناقضات الأنا ومعاناتها في انتماء الذات إلى واقع مرفوض داخلياً . يحرر النص متولياته في التعبير عن تجربة الذات المتشيئة في مكان ما يمتلك في ذات الأنا خصائص تحدّد مهمة هاجس الذات المتولّد في ذات المكان الخاص الذي يحتضن زمن التجربة ، فيرشح النص عبر هذه الرؤيا التداعيات التي تفرزها تراكمات التجربة في الذاكرة والتي تنطبع ضمناً في ذاكرة المكان الذي يمتلك حينها جدلية خاصة تأخذ مساراتها من هاجس الذات المتولد عن تلك التجربة . الواقع المهشّم الذي يستفزّ الأنا بخوائه وعدميته يتحرر عبر توظيف إيقونات خاصة ، تأخذ من المكان منهجية تتفتح على نقد هذا الواقع الشرير ومحاولة بناء يوتوبيا مكانية تحتضن زمان الألفة والحميمية المفقود في واقع الاغتراب النفسي والفكري الذي يلفّ الشاعر . النص في [عندما تحترق القناديل] ينشيء لنمذجة مسميات ترتبط عبر المنحنى المكاني بمنظومة تشفّ عن حاجة الأنا للتواصل مع مفردات تركت بصماتها في الكيان الشعوري للذات ، ليتكوّن عبر البعد النصي في المجموعة خلاصات تتكشّف فيها عواطف الأنا والتي تتشظّى عبر دلالات النص عن عالم الذات الداخلي وما يترشّح خلاله من حوارات وجدليات تتحرك وتتفتّح منافذها في فضاءات النص ، ((ولما كانت العلامة اللغوية ترجع في كثير من الأحيان إلى أشياء بصرية أو مرئية لها صفة مكانية ، فإنه يترتب على هذا إدراك خاص للأنساق اللغوية ، يحدده اتخاذ مفاهيم بعينها صفة

مكانية)) [٢] . رؤى الذات تترشح في مرايا تعكس ما تراكم في ذات الأنا من فوضى يحاول إعادة تنسيقها عبر نمذجة بناء يتهيكل في وجود خاص يحاول رسمه لعالم مكاني يأخذ من الحلم والمتمنى أبعاده . تشكّل الوعي الخاص للشاعر يترشح في مفاصل النص ليستوعب منحنيات الفكر الذاتي عبر آليات تنتج دلالاتها أبعاد الفكر ذاته المفتوح ضمنا على تجارب تخص الأنا في تفاعله مع مفردات الكون وفي تفاعله مع الآخرين ، فتأتي رؤى الذات عبرالمنظومة النصيَّة مستلهمة تجاوب الذات مع المحيط عبر توظيف دالَّة المكان الذي يثير حدساً خاصاً في مخيلة الأنا في زمن إنتاج النص ، يشف عن محصّلة تواشج هواجس الأنا المنبثقة من وجود خاص يؤطّر رؤيا إيديولوجية تتوقف عندها مسارات مطلّة على مكان وزمان لاتحده حدود .

قضية الأنا الشاعرة ومعاناتها الكامنة في مفاصل الذاكرة ترفد النص بطاقات تفيض على الفضاء المعنوي للنص ، ليأتي البعد المكاني ثيمة ترمز إلى توقف ذات التجربة وتبعثر صداها في فضاءات القصيدة عبر اغتراب خاص عبَّرت عنه نصوص المجموعة في البعد الذاتي من استلهام مبنى المكان . واختيار المكان كشفرة رمزية في دلالة النص يحيل إلى إجابات مضمرة لأسئلة الذات المتوفرة على أبعاد تشفّ عن علاقات خاصة يقيمها الأنا روابطه مع ذات الآخرين والطبيعة ، لتبدو رؤيا للواقع الإنساني النفسي في تعالقه مع مفردات الكون التي يأتي فيها المكان أنموذجا مميزاً . وتحديد الأبعاد الخاصة لبنية المكان في النص عبر الرؤية الشعرية يأتي إسقاطاً لهواجس مكبوتة في ذات الأنا متخذة من طاقات الإبداع الشعري في كتابة النص بؤرة تشف عن واقع معاناة تتشرّب بها الأنا ذاتها في جدليتها مع مفردات تركت بصماتها في جسد الذات ، لتأخذ من ثم أبعادها في جسد النص الذي يبدو مسرحاً لتحرير تلك المعاناة وتعالقها مع فضاءات المكان والزمان في واقع التجربة الحية ، ((والعمل الفني الحقيقي يبدأ من كونه أثراً على ذاته ، معنى هذا أنه يكتب زمانه من مكانه (وبالعكس) ذاته من الآخر (وبالعكس) .. إنه يتفانى))[٣]

المكان في ذاكرة [عندما تحترق القناديل] معطى يبرز علاقات تتحدد مساراتها عبر تأويل شفرته في سياقات النص ، الذي يشكل مقترباً واعياً للحظات قارّة في كيان الذات والمشتملة على حتميات تحددت نماذجها في حياة الأنا وعلائقه .. قراءة المكان في المجموعة تنفتح على بعدين :

١- البعد الذاتي //

ينفتح البعد الذاتي عبر ذاكرة المكان في النص ليتشكّل عبر محاوره جدلية خاصة تأخذ من الهواجس الداخلية للأنا مادتها الأساس ، فيأتي المكان في هذا البعد ليأخذ منزلة تتواشج في مسارتها قوى خاصة مكبوتة في ذات الأنا تتشظى أنساقها عبر دلالات النص يأتي فيها المكان منطقة حادة لوعي التجربة المعاشة عبر الوجود الحر للذات . ويتخذ النص عبر تطويع مفردات المكان طابعاً ينزّ عن آلام تمتلك في ذاتها سحراً خاصاً حينما يطالع بها الشاعر ذات المكان الذي يترشح على السطح الدلالي للنص ليفتتح به أسئلة الذات الكبرى ، التي تفيض عنها أوجاع تعالق الأنا مع المحيط والآخرين ، والمكان بهذا المعنى الكبير يحتل بؤرة تأخذ في قالب النص مديات تثير التأمل عبر ترميزها لأبعاد تخص الأنا ومعاناته الشعورية المكان هنا يبدو نافذة لتراكمات الماضي الهزيل ، وأوجاعه وأمراضه التي تتشظى في الجانب المعنوي للنص ، لتأخذ منحنيات تشف عن تجارب الأمس وما تركته في نفس الأنا من ندوب ، ويتموضع المكان ليأخذ مديات تشف عن : ضياع ، ضحايا ، هذيان ، أشلاء ... ؛ فيبدو معطى قارّاً في الذاكرة تترسّم في أبعاده علاقات لا يحددها إلا الهاجس الكامن في ذات الأنا عبر ذاكرة التجربة في المكان المعين ، حينما يبدو للماضي المضيّع تلالا تتمركز في صحارى الوهم عبر القول :

يعيش ، يعيش رهن الشوك
رهن تلال ماضيه المضيّع
في صحارى الوهم
تسحق حلمه
الأمواج
والإعصار

والغضب [٤]

تحديد المكان في بنى النص يفتح إيقونات ترمز إلى تحدّد اغتراب الأنا الذي يستفز منه الفكر عبر الوجود الخاوي الذي تتحسسه دواخله ، وعبر اختيار شفرة المكان يرحل عمودياً لاستكناه زوال الأشياء الجميلة وتهدمها في أبعاد المكان الذي يستقر في وجوده تولّد مناحي العدم ، ليمتلك المكان في هذه المنطقة الحرجة بعداً عدائياً لذات الأنا تتصل تجذراتها بماضي المعاناة ذاتها :

غريب ، والدخان
وليلنا والسهد على الأجفان
وأشواق تضجّ
رؤى العذاب تغلّها ، تمتصّها
ويلوكها القرصان
وموج إثر موج
والمصابيح الكئيبة
والضباب يلحّ يهزأ بالكهوف
ونجمة بلهاء
وأشياء مخضبة ، مبعثرة
تناقض روحها الأشياء [٥]

فكرة زوال الأشياء الجميلة تتعالق في ذهن الذات الشاعرة مع ثيمة المكان التي تبدو في توجهات النص عبر البعد الذاتي مساحة قفراء تحتضن هواجس الأنا بخساراته وانهزاماته ، هذه المناحي تأخذ من وعي الأنا أفكارا تتجسّد في المنجز الشعري لديه عبر متواليات الدلالة المأخوذة من تراكمات التجربة ليبدو المكان في قلب النص بؤرة تترشّح عنها أبعاده ومنحنياته :

غريب يعلك الجمرات
يشدّ حصانه لمنابع الآلام والآهات
تلفظ ركبه الساحات
ويظمأ والسراب شرابه
وطعامه الأتّات [٦]

وتمرد الأنا على واقعه المهشّم يرشح الكتابة باستشفاف البحث عن قيم تسوّغ الحياة وعبر الخيال الذي يتعالق مع دلالات النص الكلية ، وهو بهذا الهاجس يرفض الاستسلام لهشاشة الواقع وسوداويته ، فنراه يبحث عبر فضاء الكلمة في صلب قاع المستحيل عن مساحة تتفلّت منها جماليات خاصة ، وفي هذه المساحة بالذات يبدو المكان حميميا تتصل تداعياته مع لحظات تكتنز زمنا للسعادة لا تحده حدود:

ذكرتكِ لم تزل ذكراكِ نهرا
يغمر الأعشاب
وينقع غلّة الغدران
ذكرتكِ أنتِ ياقدر الغريب
بساحة الحرمان
وياخيط الضياء إليّ
يعبر سدفة الآفاق ، مشتعلا
ويسحب حالك الأكفان [٧]

المكان في بعده الذاتي الصرف يؤسس بمداه الخاص شفرة تنتج ضوءاً يكشف تعالقات الأحاسيس التي تطوف في كيان الذات الشاعرة عبر ثيمات : الخوف ، الأمل ، العقم ، الخواء ؛ لتكون هذه المفردات عبر منحنيات النص في البعد المكاني تفتّحا خاصا في أفق القصيدة ينحاز نحو المنجز الشعري كمقترب جمالي لصياغة التجربة ، المكان هنا يقدّم افتراضاته عبر الدلالة المعنوية التي تأخذ شفرتها من جدران الذاكرة التي تفيض من آفاق النص في هذا البعد ، حتى يبدو الألم ثيمة تفتح أبوابها في نصوص هذا الجانب بصورة ملفتة . يبدو الوجع يتحدّث عن ذاته عبر السكن في منطقة خاصة يكون المكان فيها منحنى ذا طابع تجريدي خاص يتطوّع عبر البنى النصية في النسق الشعري الذي يتميز به الشاعر ، ((إن الشاعر يغوص أكثر حين يكشف مساحة شعرية لا تحتوينا بعاطفيتها ، والحق أنه مهما كان التأثير العاطفي الذي يلوّن مكانا سواء كان حزيناً أو مضجراً فما دام قد تمّ التعبير عنه شعرياً ، فإن الحزن يتناقص ويخفّ الضجر)) [٨] ؛ وهذا الهاجس وبكل تداعياته يفتح السؤال الأثير عبر مسارات النص حول الوجود ، وجدواه ، عبر حركية الذات الإنسانية ودورها في صنع المصير ، والأنا في حواره مع الذات عبرالمنجز الشعري يفتح جدلياته حول المقدرة الذاتية لإنتاج آفاق تحد من الخواء والخسارات التي يفرضها واقع هزيل :

دعينا منك يا أسوار
ياشوكاً بلا أعماق
دعينا منك ياقصباً بغير جذور
وياعشبا بلا سيقان
دعينا منك يا أحجار
دعينا منك يا جدران [٩]

ويمتلك المكان حرية خاصة حينما تتأطَّر أبعاده في فضاء النص للتعبير عن تفاصيل روحية للذات الشاعرة المتحللة هواجسها في مسارات النص ، الذي يستوعب في تكويناته بنى المكان الذي يلتزم كأداة مهمّة تفسير حركيّة المشاعر وتناقضاتها عبر سيرورة الزمن في فضاءات المكان المنتقى ((إن الشاعر المتأمل يستطيع أن يكتشف الصلة بينه وبين واقعه من خلال ارتباط الاثنين بمفهوم الحرية . ولذا فالمكان سوف يرفض أية تصورات لا تربطه بالحركة))[١٠] وطغيان ثيمة المكان في مسارات النص يمنهج تعالق هذا البعد مع الكيان الداخلي لذات الشاعر باعتباره ثيمة تستوعب توجهات ورغبات الأنا في ذات الوجود الذي يحتضنه المكان ، الذي يبدو أفقا خاصاً في ذات الدلالة الرمزية لنصوص [عندما تحترق القناديل] ، والمكان بهذا الإتجاه يمتلك في ذاته أبعادا تنزّ عن خوف مضمر في جسد النص الذي يشف عن تجربة الخوف الكامن في ذات الشاعر ، نقرأه في النص الذي تتحدد سماته في أزمنة تأخذ في المكان ذاته شكلاً لعلائق الأنا عبر القول :

تمردتْ الرؤى
واصفرّ وجه الليل
وانتحبت هنا الجدران
وهوّم في ظلام الغاب مكتئب
وتاه معذب حيران
وهأنذا أغني في عذاب الصمت
وحدي أمضغ الأشعار
وشاحي جمرة ، وعلى جبيني النار [١١]

إنتاج البنية النصية لا تتأتّى من فراغ ، إنما دلالاتها الخاصة تنبع من محايثة مشاعر تشف عن معاناة تأخذ الأنا جدولتها في المنجز الشعري الذي يبدو تاريخاً زمانياً ومكانياً يفيض عن تجارب الأنا ويشخّصها فنياً . الشعور الداخلي بالمكان لا يلتحق بثوابت ، إنما يتأسس عبر البعد النفسي منهجا يأخذ من مشاعر الأنا المستقرة في ذاك البعد منحى يطبع ذات المكان بخصوصية الموقف الذي يستحضره في تجربة الأنا المراد رسمها في النص ، ((فإذا كانت حقيقة المكان في الشعر نفسية وليست موضوعية ، كان تشكيل الصورة متفقا تماماً مع حقيقة المكان النفسية ، وعلى هذا ينبغي أن ننظر إلى الصورة الشعرية لا على أنها تمثل المكان المقيس ، بل المكان النفسي ، الشاعر في كثير من الأحيان يفتت الأشياء الواقعة في المكان لكي يفقدها كل تماسكها البنائي الماثل أمامنا ، ولا يبقي منها إلاعلى صفاتها))[١٢] ، وصدى المكان ومتوالياته في مسار النفس يتخصّب عبر الفعل الشعري الموطئ لأفكار لا تحدها حدود . واقع المعاناة هو الذي يحدد وعي الذات للمكان بصورة تبرز تجذّر أحاسيس في ذاكرة الوعي الذي يفيض بتداعياته عبر النص يستلهم ذاكرة الأنا وفكره ، للتعبير عن أبعاد راسخة في مساحة خاصة من الكون تبدو رمزا يتأول كما في قوله :

على سور الضياع
بساحة الأشجان
ومن أرض الضحايا
في صخور الشمع
غنتني الرياح السود [١٣]

ويمتلك المكان في ذات الفعل الشعري نافذة تطلّ على تراكمات الموروث النفسي في الذات الشاعرة فيبدو في صلب النص وسيلة كشف تسلط الضوء لتكشف دواخل النفس ونوازعها في تجارب الماضي وفيوضاته .

يبدو المكان رمزاً لحقيقة يراد بثها في المقترب الشعري الذي يشف عن الذات الشاعرة ، ويكرس أبعاده الدلالية لمنهجة فلسفة الذات عبر القول الشعري الذي يستنفر من صراعات الأنا وحوارها مع الداخل والآخرين أبعادا ليس لها نهاية :

شواطيء أمسنا

مطر الخريف أعلّها بالنار ، بالكبريت ، بالآهات
تكوّمت الظلال على الذرى
هشّت تماسيح الظلام [١٤]

حقيقة المكان النفسية تتشظى أنساقها في الجانب الدلالي للنص الذي ينفتح على تفحص دور المكان في الذات حينما يعيد برمجة التجربة المعاشة فنياً في النص ، المكان بهذا المنحنى يدخل في قيم تترفّع عبر الواقع الإنساني لتجربة الذات في تفاعلها مع المحيط ، ويحدد مهمة نفسية يمتلكها البعد المكاني باحتوائه لمعاناة الأنا وصراعاته ، يكون المكان عبر البعد النصي في هذا المسار فكرة لشفرة مضمرة تبرز حوارات الأنا مع الداخل . تداعيات الحياة وإفرازاتها تتمثل في أبعاد النص عبر القول بالوجع أو الاستسلام : هاتان الثيمتان تمتلكان البعد النفسي لدواخل الذات عبر الارتباط الفعلي بصراعات الواقع المنتهية ضمنا إلى هذين البعدين , ويتنحى المكان كرمز إلى جانب آخر في فلسفة الذات عندما تعي لزوم تبدّل الأشياء ليستحيل إلى مادة للخوف المتضمن قلق الأنا من زوال لحظات السعادة المتشيئة في مفرداته عبر البعد النفسي للذات ، ((فيبرز العامل المكاني عنصراً من عناصر الخوف لدى الشاعر بكل ما يمكن أن يحققه فيه من قلق ، المكان قدر بيني من مدركات الشاعر ولكنه مدرك يحمل الذات حصة من الخوف تظل تعمل عملها فيه ، إن السعادة المكانية بمعنى السعادة التي يحققها جو مكاني ينشده الشاعر لا تعدو كونها سعادة مؤقتة سرعان ما يذهب به الخوف من ضياعها كل مذهب لأنه يخاطب المكان السعيد بلا وعيه المؤمن بالزوال المحتم)) [١٥] .

ويتوظّف المكان في بعده الرمزي الخاص ليحتضن رؤيا الشاعر وجدلياته عبر الإحساس بذات المكان المتوافق مع متلازمات آنية تنحدر بالرؤيا إلى تمثل جزئيات الحياة وتفاصيلها في البناء النصي :

حصان الفجر ضاع
وغامت الذكرى على الشطآن
وينفضني الرماد
أحسّ بالموتى
وبالأكفان
وفي النهر الملفّع بالمرايا الحمر [١٦]

توظيف المكان في النص ينثّ عن مرجعيات تلتزمها الذات في مسيرة الماضي المخزون في أبعاد الذاكرة ، وعبر الوعي بالبعد المكاني يدرك النص بنى ترشح تداعيات تفرض منطقاً خاصاً لتعالق خزين الذاكرة مع معطيات المساحة ، وعبر حوارات الأنا مع هذه المرجعيات لنتعرف في سياقات النص الشعري على تشكّلات خاصة يفرضها ذاك المكان المنتقى في الذاكرة ليروي لنا عبر البعد النصي دلالات لا تنتهي عبر ترميز الدالة المكانية في قراءات النص المتعددة . المكان في ذاكرة البعد الذاتي للأنا يستوطن في جسد النص ويتشظى عن شفرات يبقى المكان يمدّها وينمّي مساراتها في صلب النص ، الذي يبحث الأنا من خلاله عن مساحة للبوح ، أفكار الأنا تنمّي الحدس الذاتي عبر مشروع إنتاج البنية النصية في محاولة لإيجاد انتماء خاص ينقذ الأنا من وحدته واغترابه . ويأتي المكان في الفعل الشعري عبر أنساق النص استجابة لمعالم أخذت في كيان الأنا مناحي خاصة تفترض أبعادا يلتزمها المكان في بنية التجربة عبر تأمل مفرداته المجزوءة من الوجود العام عبر متواليات الزمن بدءاً ونزعات الأنا الذاتية انتهاء ، ويتشكّل عبر نمذجة مسميات للمكان تأخذ أبعادها مساحات مفتوحة تذكّر بغزارة التجربة في البعد الذي يصوره النص هي انتقال حي لمفردات فتحت معالمها الواسعة في ذات الأنا . بنى المكان في هذا المنحنى تؤسس لفتح نظام أشاري مضمر يمتلك في حداثته بلورة استجابات الأنا لمواقف ذاتية تستشف من هذا البعد آفاقا لرصد تحولات أخذت فلسفتها في أبعاد الهواجس المفاضة من معاناة تركت بصماتها في الذات ، وعبر الفعل الشعري يتخذ المكان سمة تستند إلى إعلاء ذات المعاناة في قالب النص وبتفعيل دور الخيال لإنتاج بنى دلالية تأخذ من المكان سيمياء خاصة :

ورائي يا حواري الحزن في الغابات
يا دنيا الكآبة
سلسلي المأساة وانطلقي
سحابتك المطلّة في دمي

تستنبت الأشواك في عنقي
تضاعف غربتي بصفائح الفولاذ كالغسق [١٧]

أزمة الأنا تتجسّد في مسارات النص لتأخذ بنيتها كهاجس يأخذ مداه من لغة الذات المتعالقة مع حالات تكبّل الأنا وتشدّه إلى عقم الواقع وهزاله ، وفي جانب استخدام المكان كرمز يبدو أحد الإنعكاسات التي يطبعها عقم الواقع ، يبدو النص في هذا الجانب ترشيحاً لثورة داخلية في كيان الذات تستشف رموزها من أبعاد قارّة في صلب الكون ليأخذ المكان عبر هاجس الفعل الشعري بالتحدّد والضيق آخذا هذا البعد من ضيق النفس التي تمتلك هواجسها في رفض الواقع الفاسد :

تسائلني السفائن
وهي حبلى
هل شهدت مصارع الغربان ؟
تطلّ من الزوايا والشقوق
بكفّها الحجري تحفر رمسها
محمومة الهذيان
ثعابين ربابنة
بلا خجل ، بلا إيمان
زبانية بلا سمع ، بلا بصر ، بلا فكر
على بوابة الأزمان ! [١٨]

ويبدو المكان مرآة تعكس تفاصيل في ذات الأنا عبر مسميات تمتلك في تداعياتها وعي الذات ومشاعرها وأزماتها التي يشف عنها البعد المكاني المحتضن ليوميات تستنفر من فضاء النص منجزاً لترسيم التجربة وبثها ، ((وهنا تلتقي فلسفة الصورة مع التفسير الشعري للمكان ، فنحن نقول إن الشاعر يشكل الصورة وإنه يستمد في تشكيله لها عناصر من عينيات ماثلة في المكان ، وكأنه بذلك يصنع نسقاً خاصاً للمكان لم يكن له من قبل)) [١٩] .

وفي جانب آخر يتمثل البعد المكاني تناقضات حادّة في استخدام ثيمات خاصة تفتح منطقة في الإستخدام الدلالي المستشف من أبعاد تجارب متناقضة في الزمان والمكان الذي يوجه سيرورة المبنى المعنوي للنص وعبر توصيف دالة المكان التي تنزّ عن اتجاهات الأنا ومواقفها في مواطن خاصة تأخذ متناقضاتها من تفعيل دور الأنا وهواجسه في ذات التجربة ، التي تنحى بالمكان عبر فيوضاتها الكامنة إلى استشفاف مناحي لتناقضات الأنا عبر تجاربه الخاصة :

القناديل قد هرمت في ذراها
بُعثِرت في دروب الجنادب
والرؤى انتحرت
شاخت الثرثرات
وثكالى رمال الصحارى العجاف
ولولت ، ساغبة ! [٢٠]

ويوفر استلهام المكان عبر البعد الشعري مساحة للإلتفات نحو الداخل عبر دائرة خاصة لبيئة تحفزها أزمنة معاشة تنث عن الداخل تداعياته وفلسفته بثقلها المستقر في الذاكرة . أنماط المكان الموظف في البعد الذاتي لأنا الشاعر تتحرك عبر اتجاهات تتنزّى من مستويات تطل من ذات الأنا لتوصيف ما يستقر في الضمير عبر امتلاكه لطاقات فعل تتشظى عبر علائق تتبلور في خصائص يوميات الأنا ومواقفه ، ليتشكل في وعي النص قاعدة تستقر فيها نماذج تشف عن إنجاز إبداعي ، ويبدو المكان في زمان أزمات الأنا الحرجة منطقة تستوعب تكوينات مجدبة هي في الواقع تداعيات تنز عن المؤثر الأساس الذي يتخذ طابعه في سطح النص خلال استلهام البعد المكاني الذي يستقطب مناخاً خاصاً لتكوُّن الحدث المرسوم بدءاً في القصيدة . عودة النص لاستكناه أبعاد المكان والتركيز على ترميزه واستيعابه لإيقونات يترشح خلالها دلالات يعيد بها الشاعر صياغة متغيرات هي مادة للنص عبر البعد المكاني المترشحة منه ، ووفق ظاهرات المكان يبدو الصراع القائم بين المتمنى وواقع الأنا يتشكل منه اختيار ثيمات تبرمج إلى خبرات الذات الأكثر بروزا في مدى المكان الذي يبدو في هذا المنهج شاهداً لأصالة التجربة ، وليشف في دلالاته الرمزية عن إسقاط التجربة أو تعالي بها إلى فضاءات يكون النص مادة لها :

أسمع صرخة الحيتان
وأصغي للنعيب على الضفاف السمر
يرفع راية الغربان

تضيع مع الضباب الحالك الموتور
تهوي
قمة الإنسان ! (٢١)

ورؤيا النص التي يقودها توظيف المكان تغذي قيمة تستشف من معطى الحياة وتحقق الوجود عبر المكان المعاش لتبعث حدس الأنا الخفي وتطلعه لفهم الذات وحاجاتها . وكوامن الذات المتأصلة والمشتملة على نزاعات يدخل الأنا في حواره مع جدلياتها إلى مسافات من الحيرة والتشتت فيكون توظيف المتاهة عبر البعد النصي إحالة إلى هذه الجدليات الروحية المتعالقة مع الضياع الذي يتحسسه الأنا وعبر القول :

يشدّ على خطاه الرمل
تحصبه رياح التيه
في وادي الأسى
يلتذّ بالجمرات في بيدائه ينأى ويقترب (٢٢)

تجربة الذات الشعرية عبر القول بالمكان أثر عن الذات يكتنز سيماء تعتمد اختيار نماذج من مناطق تكشف عن أسلوبية تضيء ملامح تتفرد بذات الشاعر لتوصيف مداخل الذات ورصد أبعادها . ومخاوف الذات بابتعاد اللحظات الحميمة ووفق مدارك خاصة تتوضح عبر الاشتغال على ثيمة المكان ، الذي يمتلك في هذا البعد قلق الذات المتأسس على مكامن يفتحها مناخ خاص لخسارات الأنا المنزوعة من صلب الوجود الحي ، تشكلت عبر شفراته في المبنى النصي انحياز للأنا نحو عوامل تتفتّح على رؤى نسبية لموقع المكان النفسي باعتباره منجزاً يشتغل في النص كرمز يتحدد عبر علاماته تشكّل دلالات تشف عن دواخل الأنا :

تهرّأ نايه المجروح
غاض الشوق من بحر الرؤى
أزرت به الشطآن
وجلّله قتام الأمس
أرّق فجره التعب (٢٣)

امتلاك المكان لحدود ترتبط في مخيلة الأنا بإنتاج زمن يستعيد مفهوم الألفة يمكن استشفاف بعض متولياته في نصوص تستقر فيها قاعدة لرؤيا الذات المتشكلة في القالب النصي ، لتدخل في ذات الأنا عوامل تتأصل في تكوين مؤثرات المكان الذي يستنفذ في ذات النص رؤيا الشاعر المنفتحة في الأساس على تداخل عناصر المكان ، تبدو هذه المتواليات في عمق النص دالة لمراحل تتفتح على رغبات خاصة للأنا الشاعرة بامتلاك زمن الألفة واستقراره . البعد النفسي للمكان وعبر تشيئه في القالب النصي يعطي استجابة ترمز إلى المعطى النفسي الذي يوفره ذات المكان في النفس ، حيث العودة إلى المطلق اللامتحدد المتمثلة أبعاده عبر منجز الخيال الشاعر الذي يفيض من واقع حلمي يتنضّد عبر الفعل الشعري :

يجرّر غربة القلب المكبل
ملّه ومض السراب
يهيم فوق النجم
شدو حياته الواحات
لكن عمره لهب (٢٤)

وفي منحنى امتلاك المكان لحدود تستعيد زمن الوجع تتنضّد عبر البعد النصي مدارج لثيمات المكان الذي يأخذ مساحات مفتوحة لا نهائية أو ضيقة تنطلق من إحساس الأنا بمتواليات الوجع المراد تصويره في سطح النص وعبر الترميز الدلالي لمسميات مكانية ، تعطي لمبنى التجربة سيماء للألم عبر الوجود الآني لإنتاج النص ، المتموضع من مديات تعالق إحساس الألم بالذات عند الكتابة ، كقوله :

بعدما انطفأ الحلم
بعد احتباس الصدى في الجنازة
بعد انتصار الكآبة
بعدما أورقت فيّ صخور الأسى
فوق أطلال المروءات
فوق الصباح
ظلاله السحابة
يعمق الجرح
ينتفض الموت
يبكي على الذكريات (٢٥)

وإزاء استلهام المكان كقاعدة دالة في البناء النصي تتشظى أنساق تخترق واقع الذات عبر تعاملها مع علاقات

الذات حينما كونت سمة من سمات العمل الشعري ، باشتغالها على بعد يتصادم مع المقترب الجمالي للقصيدة كونها كشفا لدواخل الأنا وتساميا لمعاناتها في تقنية خاصة شكلت بنى النص . وعودة الأنا عبر الفعل الشعري إلى استذكار أماكن عبر أزمة الذات في زمن إنتاج النص ، تأخذ طابعا خاصا لتنسيق ذات المكان فنراه يأخذ مديات تكبر أو تفتت عبر منحنيات يجد الشاعر بجدولتها في : المكان / الزمان ومتوالياتهما أبعادا لنمذجة نمطا خاصا من العلاقات تميز به نصه . حينما تتحدد رؤيا الذات لفكرة أو عاطفة يعاد بثها في وجدان الذاكرة عبر مسميات القصيدة كونها قالبا تصب فيه ، يتحدد اختيار الشاعر لثيماته التي شكلت في داخل الكيان الشعوري نقطة دالة تملّكت حدوداً تتمظهر أبعادها في تتابعات النص ، وامتلاك المكان أصالته في ذات الأنا يتبع تأكيد مشاعر تأخذ مداها في الذات بصورة أكثر عمقاً ودقة ، لينكشف عبر تأويل النص هواجس ذات طابع خاص بالذات لتعبّر عن صلة الذات بذات المكان المنتقى :

وأنتِ ، وأنتِ ..
يا همس القرون
ودفقة الألحان
ذكرتكِ واعتصرت صداكِ
فانفجرت بي الجدران
ذكرتكِ حالما بالموت ، بالمأساة
في بوابة الأحزان
ذكرتكِ ضامئاً للفجر
للأمطار
للأصحاب
مرتميا على الشطآن [٢٦]

ثيمات المكان تترك بصماتها في جسد النص لتتداخل مع ثيمات الزمن في تشكيل مراحل تجربة الذات مع المؤثر الأساس الذي وجد في النص تفتحاً على آفاقه ، وتاريخا سيرشح متوالياته عبر الدلالة المتشيئة في أبعاد القصيدة ، مؤثرات المكان القارة في موشور الرؤيا تتجسد أبعاده لتفسر استجابة المعطى النصي لأبعاد مطلقة عن الذات ليبدو النص هاجساً لذات الأنا في تفاصيل الحياة اليومية المتخذة من المكان والزمان منظومة تشف عن دواخل الأنا . خصائص قراءة المكان عبر البعد الذاتي تتأتى من ترشُّح أزمات خاصة تعرَّض لها الأنا تظهر رؤاها عبر تحدد المكان المتشيئة في أبعاده علامات هذه الأزمة وتشظيها :

غريب .. فوق أنهار المساء
سرى بغير شراع
أسير غاص حتى القاع
تلوح الشمس فوق وشاحه
ترنو .. وتنغمر
يغيب سنا
يضيع وشاح
وفي أذنيه ثرثرة الحيارى
في ظلام اليمّ [٢٧]

ويتشكل المكان في ذاكرة النص حيث البعد الآخر المستثمر في جنباته مشكلات الذات فيبدو في أحيان كثيرة ثيمة ترمز إلى اغتراب ووحدة ، وفي هذه النقطة بالذات يتشكل المكان في البعد النصي وجوداً يفرز أبعادا موحشة تثير الخوف ، اختيار الأنا لمبررات غربته تتشكل في الذات عبر مفردات تتفحص حاجات خاصة تشف عن زيف العلاقات المتوفرة عبر أبعاد وجود معين يفتح آفاقا للألم ، وهذه المفردات تتطوع في الخيال الشاعر الذي يتبنى تشكيل سمات خاصة لواقع مرفوض لعالم يحتضن أبعاد الوحدة النفسية وعبر ترميز ذاتي للمكان ، الذي يمتلك في ذات الخيال خصوصية تجعله يستوعب هواجس الذات التي تتشيء في النص الشعري المطوع للخيال بدءاً :

غريب ...
غربتي تعب .. وإجهاض وترحال ..
لغير إياب
غريب ..
عاش ينتظر القطار
على وصيد الباب ! [٢٨]

كما تتبدى تمظهرات القلق لدى الذات في تواجده في المكان الذي يمتلك أبعادا تتراجع لدى أحلام الذات وطمأنينتها وعبر مسميات تتجذر في صلب النص ، يبدو

حينها المكان مسكوناً بالوحشة عبر القول بتعطّل لحظات السعادة وانفتاح زمن يحتضن الوجع . المكان أداة فاعلة تتراسل عبر مسمياتها في البعد الذاتي القصائد : حواري الحزن [٢٩] ، عندما تحترق القناديل [٣٠] ، سياط الذئاب الصفر [٣١] ، في عذاب الصمت [٣٢] ، من أطياف الغربة [٣٣] . وتشف عبر نمذجتها في البعد النصي عن نزعات الذات وتوجهاته ليمتلك ذات المكان في النفس شمولية تشفّ عن الذات وأسرارها وعبر الفعل الشعري الذي يستشف رؤاه من أبعاد المكان المنتقى ليمظهر هذه المتواليات .

٢- البعد القومي //

يترشح عبر البعد القومي من رؤيا الشاعر للمكان في ((عندما تحترق القناديل)) مسارات تؤكد وعي الذات لثيمة المكان ، ((وللقومية في أدب الخليج جانب مثير فأدبها واسع المجال يدل على تعلق الأدباء بقضايا أوطانهم ففي العروبة ذاتها نقرأ لعدد من شعرائه ولقضايا العروبة)) [٣٤] التي تشكّل في المقترب القومي احتضان الإنسان العربي لمفردات تتنزّى عن روابط بدأت تأخذ متواليات تشف عن عقم الواقع ، وسوداويته ، حتى بدا الإغتراب في ذات المكان الذي يشكل وحدة لذات الفرد بديلاً تعويضياً للخراب الذي يستوطن جسد الأمة :

يسحق القيد أقدامنا
ونعيش ، ونمشي ، ظلالا ، ظلالا
تماثيل ماضٍ نحاسية
بذورا خرافيّة في حقول الصدى
وعيونا مفقّأة بالنعاس
وأسراب جرحى ، فلولا ، فلولا
وأشرعة خائبة ! [٣٥]

يؤكد المقترب المكاني عبر ترميزه في فضاءات النص فكر الذات الشاعرة ويستفز وجهات نظر تنزّ عن إيديولوجية الشاعر التي ترشح استجابات الذات لاستحضار أدوات للفعل المتمثل بإعادة صياغة الواقع والعودة بالأمة إلى زمان الوحدة والنقاء , فيأتي النداء للحرية عبر منافذ الكلمة استجابة لدعوة الأنا لتكسير قيود فرضتها القوى الكبرى لتستوطن في جسد الأمة ، وتبدو الحرية في الفعل الشعري أحد المكونات التي تستفز الذات لتطويع الإرادة لتحقيق مسارات تأخذ الفرد عبر ترميز دلالات النص إلى بيئة تتمثل في موت الهزال عبر تدمير مواطن الضعف ، وبفعل توجهات تأخذ من مسميات المكان بؤرة لفتح منهجيات تشخّص الجمود وتكشفه :

(سنسحقهم) ما تزال تجلجل تصرخ في كلّ واد
وهم يرتعون بكلّ الذرى وبكلّ المهاد
(سنثأر ، نقطع أوردة المعتدين نطهّر أرجاسهم من ثرانا...)
وهم والغو دمنا ، طاعمو كرمنا ، كالجراد
حزيران قد عاد رغم التمزق والرفض
رهن انهيار المواقف
والخيل ملجمة
والسرى غابة من قتاد [٣٦]

ويتجلى خوف الذات عبر رؤى النص للمكان في البعد القومي مترشحاً عن الخسارات الكبرى ومواطن الضعف في حركة الواقع وفاعلية الهزيمة ، المتشكّلة عبر الزمن الذي ينز عن هزال وعقم الذات وصمتها اللامبرر ، ((لقد ضرب الشعراء المعاصرون – ومن ضمنهم شعراء نجد – على الأوتار الحساسة بأن أثاروا العواطف في الجماهير ، وحركوا المشاعر)) [٣٧] ليتمثل النص وعبر كشف هذا المتواليات تحفيز الفرد عبر الفكر المتشيء لإرادة الحياة الحرة وبدافع التخلص من الهزيمة وسوداويتها اختيار الأنا لمصيره وتوجيه الوعي لما تفرزه النكبات الكبرى الملمة بجسد الأمة تمظهر حالات التخلف وحقائق استسلام الذات العربية لوطأة القوى الكبرى ليتمثل النص وجع الذات لفجيعة الواقع :

حزيران عاد
حزيران عاد
حزيران قد عاد عبر انسحاق المنى في دروب التفاهات
عبر الهزائم والثرثرات
وعبر الضباب المُلحّ وعبر السهاد
وعبر تلال الحماسات ، مثقلة بالحماقات
عبر الضياع العقيم
وعبر الفداء الجريح المكبّل

عبر الحداد [٣٨]

الواقع المشوه العقيم يستفز الأنا لفعل ينحى بالذات لإنتاج مسارات أخرى ، تزيح تشوهاته وتجدد طرقا تفتح في ذات الأنا إرادات واعية وطاقات فاعلة هي دعوة إلى خلق واقع آخر يأخذ جمالاته من ذات المكان المهيمنة عليه هزائم الذات ، ((إن الشعر الحزيراني هو الشعر الذي عمّق حزيران رؤيته لحقيقة طالما كانت ماثلة : حيث أصبحت فلسطين ، والحرية والثورة والحب والأرض مترادفات لرؤيا واحدة ؛ كما أصبح النظام وكل وجوه التقليد والإلتصاق بالوضع الراهن حاجزاً كبيراً يحول بين الإنسان وبين معنى وجوده)) [٣٩] . كشف مظاهر الإستسلام في بؤرة النص عبر مسميات المكان تشف عن التدمير الكبير الذي يرشحه في الأنا باجتثاث روافد الوعي والفعل ليبدو مرجعية هزيلة تؤسس لعالم ضعيف ، يبدو التعبير في هذا المسار دعوة مضمرة للفعل وتحدي الضعف في الذات المعطلة إرادتها عبر هزائم متكررة :

تنتشي بالأقاويل
تجترّ أحلامها
تتلظّى صدى ، عبر جمر الأفاريز
عبر الأسى والسراب
وعبر المتاهات والسخريات
أمة غائبة ! [٤٠]

ويبدو المكان في ذاكرة النص مترشحا عن ذائقة تمد النص بأفق واسع من نزعات الذات تجاه الوطن والإنتماء إليه ، يوفر المكان في هذا المنحنى أسرار الأنا بكل عمقها لتستقر نمذجته بصورة تمتلك من الخيال بتوصيف مشاعر الذات مديات كبيرة .

ويسعى النص في تركيب دلالاته لتوصف فساد الواقع أشكالا متعددة يبدو فيها المكان ضوءاً كاشفاً للعتمة المسيطرة على الذات تجاه هذا الفساد ومتوالياته :

فعلى الأقصى ظلال جهمة
وحريق بات يشتدّ ضراما
قد شكا المحراب من غربته
أين منه (عمر) يجلو القتاما ؟
عاث فيه السامريون الألى
عبدوا العجل ضلالا وأثاما
روّعوا النساك في خلوتهم
واستباحوه صلاة وقياما [٤١]

ينطلق النص بمتواليات المتمظهرة بتركيب المكان في المبنى الدلالي ليعيد وصف هواجس الذات في تفاعلها مع الفوضى ، وعبر الفعل الشعري لترشّح منهجا خاصا يتوخى إنتاج قيم تأخذ من الإنسان بعدا للرقي عبر المنجز الذاتي لدفع الخمول والمرض وتجاوزه لغاية روحية عليا ، تنأى بالفرد إلى آفاق السلام والخير ، ويوفر استشفاف مسميات المكان بحث الشاعر عن حاجات راقية لتوازنه الداخلي المفقود في عالم مشوّه مرفوض وعبر البعد النصي الذي يمتلك في داخله مساحات كبرى من الحرية للتعبير عن الداخل من الكيان الشعوري لديه . امتلاك الأنا لوعي خاص يرتبط عبر المنجز الشعري برسالة يبثها تقدم ذاك الوعي عبر المقترب الجمالي في إجراءات يفترضها النص لتكون الدلالات المترشحة عن هذا البعد موشورا يرشح تداعيات الفكر وإفرازاته ، والمكان هنا يفرض إدراك مناح خاصة في الذات لتوظيفه في النص ليتمظهر في النسق الدلالي الذي يتدون في أبعاده كشوفات الذات وقوانينها :

كيف بالله نعبر تلك الجسور ؟
ساءلتني رياح المساء
كيف نمشي ولما تزل في القبور
همهمات الفداء
قلت والخنجر المستبدّ
بصدري يمور
وشظايا الفناء [٤٢]

تعميق البعد الدلالي في النص باختيار ثيمات بارزة لها فعل استحضار حي في الواقع يجعل للمكان دوراً بارزاً في المسار الدلالي ، الذي ينتج عبر سيرورته المضمون المعنوي لرسالة النص الكلية المستقرة في طياتها معاناة الذات كشكل يتمظهر في المقترب النصي كونه قالبا لبث التجربة . آفاق النص المطلّة على هواجس الأنا في تفاعلها مع المحيط عبر الإنتماء إليه داخلياً ، تشكل مستوى يحدد ظاهرات رؤيا الذات في هذا التفاعل الحي ،

لتشتغل الذات في فعل الكتابة في استحضار مفردات تمتلك قوانينها الدلالية والفنية في أنساق النص عبر تمثل توجهات الأنا وانفعالاتها : أزماتها ومراحل تشكل وعيها وعبر أنظمة خاصة من التقنين الفني يمتاز به الشاعر فيقول :

سائلي الراقصين على جبهة الفجر
والخانقين غصون الجنى
والألى نصبوها خيام الهزيمة
سائلي لبنات الجريمة
سائلي شاربي مطر الذل
والشاهرين المُدى الكاذبة [٤٣]

تراكمات الماضي وآمال المستقبل تتنضّد عبر الفعل الشعري الممتلك أبعاد المكان الذي يضعنا في تجارب الذات باحتوائه زمان الفعل واتجاهاته ، المتحددة عبر مرتكزات تنمي الفعل الذاتي في صيرورة التجربة على أرض الواقع الحي :

كبريـــاء الجرح فينـــا قـــدر
قد ورثنا فيه آباء عظامـــا
بذلوا الأرواح في ساح الفدى
كان فيهم خالد يشأوا هشاما
كلمـــا هلّ أذان أو سرى
بارق أسرى لك القلب هياما[٤٤]

الكتابة عبر تفعيل أحداث العصر باستلهام البعد المكاني تتفتح على خيال الذات لتحقيق مسارات أكثر جمالا وخيرا ، وتبدو الأحلام في هذا المنحنى وسيلة الذات للهروب من واقع مفتت يشف عن سياقات تأخذ من مساحة الوطن بؤرة للتمزق والانفصال . رؤيا الذات الشاعرة المستشفة من هذا الواقع تنفتح على مديات تحاول تفتيته وإعادة بنائه في معادلة تأخذ من الخيال إشارة إلى بعد المتمنى وتفلته :

والأغاني لم يزل فيها ندى
ولم تزل تشرق بالعطر الذرى
والجرح لما يستجب للنزف بعد
والمحاجر الغرّ حبالى بالدموع بعد
والنواقيس تغني
والأذان مجلو الصدى
هل ترقأ الدموع يا قدس
إذا لم نستعد ذاك الثرى ؟[٤٥]

وينحى الشاعر في تعبيره عن الهمّ الذاتي المترشح عن واقعه الهزيل فيقدم حقائق تنز عن تحددات التدهور والانحطاط ، وعبر ترميز ثيمات للمكان جاءت بصورة مكثفة في النص عبر هذا الجانب ، وهو في تكثيفه الحاد لها يشكل بؤرة تدل على إشكالات ظاهراتية للواقع المستباح والمكان الذي بدا لديه مثيراً للوجع ، وفي قسوة الواقع تترشح كتابة الذات لإيقونات تستفز الذات عبر ترميزها ، ليستقر في البعد الدلالي علامات تسجّل هواجس الأنا التي يمتلك فيها المكان المستباح ندوبا لجروح طرية . وينشأ الشاعر حواراته مع الذات وعبر هوية النص وعبر إدراك انطباعي مع تمظهرات البيئة المنتمي إليها ليشف النص عن أزمة الذات اللامنتمية لأزمنة تترشح عن عقم . ويرسي النص دلالاته عبر استيحاء مفردات الزمان في تواشجها مع أبعاد أمكنة منتقاة لتنز عن نفسية الأنا في حواره مع تشظيات معاناة تفتح أسئلتها عبر الشغل على البعد النصي ، بوصفه رؤيا لعالم الذات الداخلي في خطابه مع مساحات تمتلك في أبعادها حميمية خاصة ، تعيد للأنا توازنه وتغيّب في طياتها أوجاع تستقر في العمق من الكيان ، كونها ترشح قوانين تتعالق بها الأنا مع ذات المكان . فيكون المكان عبر البعد النفسي لانتماء الذات جزءاً منها :

والآن يا " قدس " قتيل الشوق ، مصلوب معرّى
زاده العذاب
مهاده القتاد ، وطعامه السراب
الدم في شدقيه ، والسمادير لعينيه رؤى
واليأس والحراب
يستنجد الأحجار – لاستنجد – يستجدي الخراف
والقطيع حوله سدى
اختنق الهتاف ، وانشقت حناجر الرعاة
يا " قدس " من الوجد
وكبرياؤنا تهاوت بددا ! [٤٦]

والنص باعتباره صيغة لحاجات داخلية في الذات الشاعرة يرشح ثورة الذات الفكرية والشعورية الداخلة في تراكمات تفيض بها الذاكرة ، لأزمنة أخذت في الكيان وجدليات الروح أبعادا كانت في صلب النص صوتا للتمرد على متناقضات الحاضر ، وسوداويته ، وعبر اشتغالها على توظيف مفردات المكان المستباح ورفض السكون والصمت يكون النص في هذا المسار صوت الأمة المجروحة في دعوتها إلى صناعة المستقبل الأحلى ورفض الضعف والخواء المتفشي في مفاصل الحياة :

يا (فلسطين) وفي أضلاعنا

حرق تنخر لحما وعظاما

والرزايا حولنـــا جاثمة

لم تدع شيخا ولم ترحم غلاما

لا تخاليها عنت راياتنا

لن يهون العرب لن يخشوا حماما

لهب في دمنـــا لن ينطفئ

يرفض اليأس ويستحيي الرجاما[٤٧]

تلاحم الذات الشاعرة مع ثيمة المكان في العمل الشعري بامتلاك فضاءات تكشف عن تجارب الذات في محيط خاص يبدو المكان في ذات المحيط سمة لتلازم حالات تتفتح على ميزات تمتلكها ثيمة المكان ذاتها في بعدها القومي الممثل لانتماء الأنا إلى أبعاد تشكل معاني الحب والوحدة ، يبدو المكان إشارة تتحدث عن الذات المتلازمة مع ما تمثله في الكيان الشعوري ، وقلق الذات من تشوّه الزمن الذي يحتضن انتمائه الخاص يعود بالنص إلى تمثل أبعاد ذلك القلق ، وفتح منافذ يترشح من خلالها انتهاك ذات المكان الذي ينز عن انتهاك زمان الإلفة والإنتماء ، تتبدى هذه الهواجس في مسارات النص الشعري لتفصح عن هواجس الذات عبر ذاك البعد الخاص من الشغل على النص . فقدان الأمان يتنزّى في فضاءات النص عبر خوف الأنا من تشوهات الواقع وتدهوره عبر استلاب الأرض ، التي بدت في الكيان الشعوري استلابا لذات الأمن والإستقرار الذي تمثله الأرض عبر انتماء الفرد لها شعورياً ؛ ((وهكذا حمل الشعر العربي مسؤوليته في غربة الأرض وغربة الشعب ، وأحس أنها مأساته ، فعاش التجربة وعبّر بصدق)) [٤٨] :

" القدس "

أين أنت اليوم يا أنشودة الجدود والأحفاد ؟

" القدس "

أين أنت اليوم ياساح صلاح الدين ؟

يا مزرعة الأبطال ؟

يا حديقة الآمال ؟

أتيتها من قبل أن يلفها الظلام والضباب والدخان

وقبل أن تعيث في ثراها الطهر حفنة الغربان

قبل مصارع الأحلام ، قبل الجدب والضياع والخواء

وقبل أن نقفز في الفراغ في الهواء

أتيتها والزرع يفترّ خصيبا [٤٩]

ويتمثل في البعد القومي تغني الشاعر بمسميات للمكان الذي يفتح في ذاته جمالات خاصة ، يبدو الفعل الشعري في هذا البعد غاية تحرر تفاعلات الذات مع ذات المكان الذي تبدو صورته عبر ذاكرة الشاعر وفي أعماقه أكثر نقاء كذكره للبنان :

إيه لبنان ولبنان العلى

عبق الطيب ، ونجوى الموعد[٥٠]

يتفتح النص ليرسم في أبعاده رؤى مستقرة في صلب الوجود الداخلي للشاعر عبر اختيار ثيمات خاصة تدوّن مسارات نفسية الأنا وتوجهاتها التي ترشح عبرالمدوّن النصي أسرار الذات وهواجسها الكامنة ، ((فالشاعر لصيق المكان ، وابن شرعي لأحواله وهو في ذلك لا يستطيع أن يغيب الإلحاح المكاني في عمله مفردة من مفردات التجربة ، فالشاعر لا يتحدث عن غائب ، صحيح إنه يتحدث عن أمل ولكنه حين يتأمل فما ذلك إلا لوجود حالة استنباء بجديد مولود من رحم شيء مكانى)) [٥١] .

والفعل الشعري عبر اختيار رموز المكان التي ينتمي إليها الشاعر جغرافياً ، يتشظى إلى أنساق تتفحص علاقة الذات الشاعرة مع البيئة التي ينتمي إليها ، هو يبحث عبر دلالات النص وبالخيال الخصب عن مستويات راقية لذات المكان الذي يبدو في ذاكرة الذات الشاعرة معنى للجمال والخصب :

يا ضفاف الخليج يا شجر الـــوّ
لؤ يزدان فرحة الأجياد
يا تراثــا مداده نغم الطيـــــــ
ر وصرحا من نجدة واعتداد
يا انطلاق المنى على شفة الفجـ
ر وعريـــن الأعزة الأجواد [٥٢]

يبني الشاعر تصوراته في المبنى الدلالي للقصيدة باختيار مسميات للمكان خاصة تنز عن قيم تتشبع بها ذاته ، وتلبي حاجات نفسية داخلية تعبر عن اندماج الذات مع المكان المنتقى في النص الشعري ، بتوصيفه وعاء لكوامن الذات ، ويثري النص استيحاء مسميات المكان الذي يتوجه الشاعر بأسئلة الذات الكبرى التي يعانيها ويبحث عن إجابات خاصة لها :

أتيتها مدينة السلام ، والسنا ، والكبرياء
ومهد " عيسى " ومراد أمه " العذراء "
أتيتها قبل خريف المذبحة
وقبل صيف الذل ، قبل أن يهجع موتى الأضرحة
من قبل أن تعود ضيعة لتل أبيب
وقبل أن تجلّل القيود كفّها الخضيب
من قبل أن يحترق " الفرقان " في " الأقصى " ولا من يستجيب
قبل انحسار الصبح ، قبل غيبة الرجال
وقبل أن تغوص أعناق النعام في الرمال
وتحصب الأحجار من جباهنا
ويسخر الأنذال [٥٣]

ثورة الذات تتبدى ملامحها في الفعل الشعري عبر استلهام دلالات خاصة يوضفها الشاعر لتشف عن ذات الكيان الشعوري الذي ما يزال يمتاح من البعد المكاني ثراء خاصاً يمنهج المعنى الأساس لارتباط الذات مع الكون ، ومن خلال انتقاء ثيمات خاصة تبدو الحياة المرسومة في السطح النصي متوفرة على غنى داخلي مميز باكتشاف الشاعر لمكامن الجمال في المكان المعين الذي يمتلك في داخله خصوصية توفر حدا من الإطمئنان الداخلي الذي يشف عنه الحنين في قوله :

من ربى البان ومأوى أحمد
لك يا لبنان زهر في يدي
ومن الخيف وظلّ المنحنى
وصبا نجد حنين سرمدي
جئت أهديها الجنى أرض الجنى
نفحة الخلد ومجلى الرغد[٥٤]

ووعي الذات بقيمة المكان عبر الإنتماء له يصدر عن هواجس ذاتية تجعل من ذات المكان بعدا للحياة الأجمل . ويظهر المكان في حدس الذات عبر المنجز الشعري ملازمة لزمان الألفة عبر الإفصاح عن مرحلة تتولد في أبعادها مشاعر باعثة للنقاء والخير ، خاضعة في ذات الكيان الداخلي للشاعر لجدليات تتداخل تفاصيلها حينما تنتمي إلى توصيف هاجس الذات المتوفر على وعي خاص . استجابة النص لمكونات يفرزها بناء الذات الداخلي عبر تلاحمه مع مفردات خاصة للمكان يتداعى له ضمير الذات عبر نمذجة أبعاده الخفية المطلة على هذه المفردات حينما تتشكل في داخلها وتتجذر وتنمو لتصبح جزءاً من الكيان الشعوري :

يا ربوع الخليج باكرك السعـ
د وجادتك صيّبات الغوادي[٥٥]

فالتوظيف الفني لهذه المفردات في النص لم يأت عبثاً أو ضرورة فنية حسب إنما كان ضرورة روحية تستوعبها الذاكرة هي استجابة حية لعمق التلاحم مع ثيماتها ، ((فأحيانا يمتلك المكان الشاعر امتلاكا روحياً وجسدياً ، فلا يعود المكان وعاء خارجيا يضم جسده فحسب بل يتحول إلى وعاء داخلي يتغلغل ويحتضن شعاب روحه ويلتحم أحدهما بالآخر)) [٥٦] .

وفي اختيار الشاعر لثيمات البعد المكاني يتحدد عبر دلالات النص أحلام الأنا ومتمنياتها المندفعة من الواقع الحي المتجذر في الكيان الذاتي ، ليبدو المكان عبر أحلام الذات أداة واعية تتشكل في منحنياتها محددات الوجود الواحد الذي يضم جدليات الأنا وتعاضدها مع المحيط والآخرين . الموروث الذاتي الذي يحمله الكيان وعبر تراكمات بناء الذات الداخلي يشف في مسارات النص وعبر توظيف الخيال عن أبعاد جمالية ، يكون النص

تُفَعِّل ذات الخيال لإعلاء أفكار الذات وترصد متوالياتها وأبعادها :

كعائد من القمر
كقائد على خصومه انتصر
كالطفل حين يبكي بعد غيبة
عند لقاء أبوين حانيين باكيين
كأوبة الجندي للموطن بعد فورة الصراع
وكالمهاجر المشوق يستقر ولاوداع
كعاشق دنا له الوصال بعد أن أرّقه الفراق
أتيتها كعتبنا الأولى ، وملتقى البراق
ومرتقى النبي للسماء (٥٧)

دالة المكان في النص تمظهر كشفا خاصا يرصد تراكم أحاسيس الذات المتولدة عن احتواء ذات المكان في الكيان الشعوري ، وبتفاصيله عبر تجارب الأنا وانتمائها إلى ذات المكان مؤشراً مرجعية خاصة تنحى إلى تمثل ثيمات المكان وعبر النص باعتباره دالة لدواخل الذات الشاعرة . فاعلية المكان والتغني بأبعاده عبر فضاءات النص جاء عبر القول باحتواء ذات المكان لزمان يؤشر نقطة حادة في الكيان الداخلي ، تنز عن قيم عليا يترصدها الأنا عبر منظوره النفسي لعالم يحتضن حياة يترشح في مفاصلها هموم وآمال :

غربة الشاعر ما أروعها
هي ينبوع عطاء سرمدي
أيه لبنان وفي لبنان لي
من مجاني الروح نبراس غد(٥٨)

ووعي ذات الشاعر لقيمة المكان عبر التغني بأمجاده يعيد نظرة خاصة للذات ترصد جدلية يحتويها البعد المكاني في الروح يتبدى من خلالها كل شيء يرتبط بالذات عبر انتمائه الخاص . والمكان المألوف عبر انتماء الذات يتحرر في دلالات النص عن تشكل عالم جميل يمتلك حضوراً مميزا في الذاكرة ، مندفعاً من تراكمات الماضي ، ليتجلى قيمة عليا في الذات تلتزمها مشاعر لحدود علاقات قارّة في صلب الذات يتوحد بها مع ثيمات المكان التي تبدت في العمل الشعري لتُجرد مشاعر الأنا في ارتباطه مع البعد المكاني :

((تونس الخضراء)) يا مهد الجنى
يا رؤى الإلهام ياشوق الندامى(٥٩)

يستحضر المكان عبر النص تراكمات خاصة في الذاكرة تتكشف عبر البعد النصي لتأخذ مسارات تفصح عن دواخل الأنا ودور المكان في الذات المتشبثة عن وعي خاص ، يبدو المكان مؤثراً يوجب متواليات تكشف عن هوية خاصة للذات ، ويمتلك البعد المكاني في ذاكرة النص حضوراً خاصاً يبرمج إلى كشف فكر الذات الشاعرة وإضاءة مفاهيم يتبناها الوعي خلال دلالات خاصة تفتح جدليات لوجود الأنا وتفاعله مع أبعاد حياتية تحرك هواجسه لاستشفاف مناحي الخصب من الواقع ، بترشحه في البعد المكاني المؤشر لتوازن نفسي يحتضن الإنسان ، وبحواره مع ذات المكان ينفتح النص على أبعاد تشف عن قيم خاصة بالعودة إلى استشراق عناصر كامنة في ذات المكان الحميم .

انتماء الذات الشاعرة إلى موروث مكاني يحتضن عقله وهواجسه عبر القول بميول تؤمن حاجة نفسية ملحة تعكس في فضاء النص ، وتفتح تجلياتها باحتواء المكان أسرارا خاصة ومميزات تتحدد في النفس عبر معركة الوجود :

عنت راياتنـــــا
وتقصّفت أشلاؤها
لم تبكها عينان
وأوفض بعد سيل الفارغين
تقلّهم قطر بلا عجلات
تماثيل مكسّرة
نقوش معرة أطلال
وأسوار الزجاج ، حطام أحذية الدخيل
وضجة ، ورمال (٦٠)

والشفرة التي يتحرك في مداها البعد المكاني في فضاء النص تفتح إيحاءات خاصة تثير رؤى يتبناها القارىء عبر تأويل النص حينما يتشكل لديه وعي خاص لمفردات الشفرة المنتقاة .الأثر الذي يتركه تركيب المكان في المنجز الشعري عبر البعد القومي يتحقق في قراءة النص رؤيا واضحة لما يترشح له ذاك البعد في الكيان الشعوري

للذات وعبر استحضار مفرداته بما تشكله من ردود خاصة في النفس عبر قراءات النص المتعددة . إثارة الذات الشاعرة للبعد المكاني عبر ترميز إيقوناته لنقل فكر الذات يعيد قراءة النص في اتجاهات عدة ، تنفتح على جدليات في الكيان الشعوري الذي يشف عن قيمة المكان المنتقى في العمل الشعري ، الذي يشكل بؤرة ترشح تداعياتها في الذات الإنسانية المتوفرة على قيم وأفكار وهواجس تتلاحم منحنياتها مع أبعاد المكان المحتوي على انتماء خاص للذات ، والمتراكم عبر خبرات الزمن ومتوالياته :

أمة غائبة !
علمتها الفجاءات كيف تسيغ المرارت
أرهقها القيظ
في سراديبها المعتمات
تبتلع الجرح والذكريات
تعيش المجازر
يوجعها الحقد
تحيا مآسيها الراعية (٦١)

والأبعاد التي يثيرها استشفاف المكان في المنجز الشعري للمجموعة يتبنى حوار الذات النفسي عبر قراءة النص ، يتوفر في طياتها عرضاً لصراعات الذات وتطلعاتها تتعزز من خلال رؤى الذات وتوظيفها فنيا في القصيدة . وتدل رموز المكان في بعديها عن مشاهد لأحاسيس كامنة في الذات تستحضر موروثا خاصاً يتنضد في الذاكرة عبر مفردات أخذت من الأنا أحاسيس متمركزة ، عبرإشارات منبثقة من وعي خاص تتمظهر أبعاده في المنجز الشعري ، حاملاً مشاهد تنز عن تلاحم طويل للبعد المكاني مع خزين الأحاسيس المتمركزة في صلب الذاكرة .

النتائج

١- يتبنى النص في [عندما تحترق القناديل] باستلهام البعد المكاني دلالات تنثّها تراكمات الماضي لإعادة نمذجة متواليات المكان وما يفتحه من هواجس في الذات ، ويتأسس عبر البعد المكاني في البناء الداخلي للنص شفرة تنتج قيما مضمرة في سياقات ترشّح أبعاد تجربة الأنا بتوصيفها فنيا في ذاكرة القصيدة .

٢- تنشئ المجموعة مسميات ترتبط عبر المنحنى المكاني بمنظومة تشفّ عن حاجة الأنا للتواصل مع مفردات تركت بصماتها في الكيان الشعوري للذات ، ليتكوّن عبر البعد النصّي في المجموعة خلاصات تتفتّح لديها عواطف الأنا ؛ والتي تتشظّى عبر دلالات النصّ عن عالم الذات الداخلي وما يترشّح خلاله من حوارات وجدليات تتحرك منافذها في فضاءات النص وطرقه .

٣- بنى المكان في النص تفتح إيقونات ترمز إلى التعريف باغتراب الأنا عبر الوجود الخاوي الذي تتحسسه دواخله , وعبر شفرة المكان يرحل عوديا لاستكناه زوال الأشياء الجميلة وتهدمها في أبعاد المكان الذي يستقر في وجوده تولّد مناحي العدم ليمتلك المكان في هذه المنطقة الحرجة بعدا عدائيا للأنا تتصل تجذراتها بماضي المعاناة ذاتها .

٤- المكان في بعده الذاتي يترشح عن شفرة تنتج ضوءا يكشف تعالقات الأحاسيس التي تطوف في كيان الذات عبر ثيمات: الخوف , الأمل , العقم , الخواء ؛ لتكون هذه المفردات عبر منحنيات النص في البعد المكاني تفتحا خاصا في أفق القصيدة ينحاز نحو المنجز الشعري كمقترب جمالي لصياغة التجربة .

٥- يشفّ المكان في ذاكرة المجوعة عن ذائقة تمدّ النص بأفق واسع من نزعات الذات تجاه الوطن والانتماء إليه , ويسعى النص في تركيب دلالاته لتوصيف فساد الواقع أشكالا متعددة يبدو فيها المكان ضوءا كاشفا للعتمة المسيطرة على الذات تجاه هذا الفساد ومتوالياته .

٦- وعي الذات بقيمة المكان عبر الانتماء له يصدر عن هواجس تجعل من ذات المكان بعدا للحياة الأجمل , ويظهر المكان في حدس الذات عبر المنجز الشعري ملازمة لزمان الألفة عبر الإفصاح عن مرحلة تتولّد في أبعادها مشاعر باعثة للنقاء والخير , خاضعة في كيان الشاعر لجدليات تتداخل تفاصيلها حينما تنتمي إلى توصيف هاجس الذات المتوفر على وعي خاص .

الهوامش

١- فلسفة الجسد ، د. جلال الدين سعيد ، ٥٤ .
٢- جماليات المكان ، إعتدال عثمان ، ٦٠ .
٣- أنا النقطة فوق فاء الحرف ، دراسات ونصوص في الفن والإنسانية ، شاكر حسن آل سعيد ، ٣٦ .
٤- عندما تحترق القناديل ، حسن عبدالله القرشي ، ٢٨.
٥- السابق ، ٤٧.
٦- السابق ، ٤٩.
٧- السابق ، ٥١.
٨- جماليات المكان ، تأليف ــ جاستون باشلار ، ترجمة ــ غالب هلسا ، ٢٦٦ .
٩- عندما تحترق القناديل ، ١٠ .
١٠- إشكالية المكان في النص الأدبي ، ياسين النصير ، ١٩.
١١-عندما تحترق القناديل ، ٤٣ .
١٢-التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل ، ٦٦.
١٣-عندما تحترق القناديل ، ٧.
١٤-السابق ، ٨.
١٥-نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ريكان إبراهيم ،٨٩.
١٦-عندما تحترق القناديل ، ٤٤ ، ٤٥.
١٧-السابق ، ٨.
١٨-السابق ، ٩.
١٩-الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عز الدين إسماعيل ، ١٢٨ .
٢٠-عندما تحترق القناديل ، ٢٤.
٢١-السابق ، ٤٥ .
٢٢-السابق ، ٢٧.
٢٣-المكان نفسه .
٢٤-السابق ، ٢٨.
٢٥-السابق ، ٤٥، ٤٦.
٢٦-السابق ، ٥٠ ، ٥١.
٢٧-السابق ، ٤٨، ٤٩.
٢٨-السابق ، ٥١.
٢٩-ينظر ، السابق ، ٧
٣٠-ينظر ، السابق ، ٢٣.
٣١-ينظر ، السابق ، ٢٧.
٣٢-ينظر السابق ، ٤٣.
٣٣-ينظر ، السابق ، ٤٧ .
٣٤-الأدب المعاصر في الخليج العربي ، عبدالله الطائي ، ٥٥.
٣٥-عندما تحترق القناديل ، ٢٦.
٣٦- السابق ، ٦١، ٦٢.
٣٧-شعراء نجد المعاصرون ــ دراسة ومختارات ، عبدالله بن إدريس ، ٣٠ .
٣٨-عندما تحترق القناديل ، ٦١.
٣٩-من الغربة حتى وعي الغربة ، فوزي كريم ، ١٥٩.
٤٠-عندما تحترق القناديل ، ٢٣.
٤١-السابق ، ١٩.
٤٢-السابق ، ٢٥.
٤٣-السابق ، ٢٦.
٤٤-السابق ، ١٩.
٤٥-السابق ، ٥٥.
٤٦-السابق ، ٥٦.
٤٧-السابق ، ١٨.
٤٨-الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، الدكتور ماهر حسن فهمي ، ٩٣.
٤٩-عندما تحترق القناديل ، ٥٤ ، ٥٥.
٥٠-السابق ، ٣٥.
٥١-الأسس النفسية للتجريب الشعري ، د. ريكان إبراهيم ، ٤٦.
٥٢-عندما تحترق القناديل ، ٥٩ .
٥٣-السابق ، ٥٣ ، ٥٤.
٥٤-السابق ، ٣١.
٥٥-السابق ، ٥٧ .
٥٦-المكان والرؤية الإبداعية ، د. نادية غازي العزاوي ، ٤٠.
٥٧-عندما تحترق القناديل ، ٥٣.
٥٨-السابق ، ٤٢.
٥٩-السابق ٢١.
٦٠-السابق ، ١٠.
٦١-السابق ٢٣، ٢٤.

المصادر

١- الأدب المعاصر في الخليج العربي ، عبد الله الطائي ، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، ١٩٧٤.
٢- الأسس النفسية للتجريب الشعري ، د. ريكان إبراهيم ، مجلة الأقلام ، ع١١، ١٢، ١٩٨٩، بغداد .
٣- إشكالية المكان في النص الأدبي ، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١، ١٩٨٦.
٤- أنا النقطة فوق فاء الحرف ، دراسات ونصوص في الفن والإنسانية ، شاكر حسن آل سعيد ، ط١، بغداد ، ١٩٩٨ ، دار الشؤون الثقافية العامة .
٥- التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣ .
٦- جماليات المكان ، اعتدال عثمان ، مجلة الأقلام ، بغداد ع ٢، ١٩٨٦ .
٧- جماليات المكان ، تأليف ــ جاستون باشلار ، ترجمة ــ غالب هلسا ، كتاب الأقلام ، يصدر عن مجلة الأقلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ .
٨- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، الدكتور ماهر حسن فهمي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجبلاوي .
٩- شعراء نجد المعاصرون ــ دراسة ومختارات ، عبدالله بن إدريس ، ط١، ١٩٦٠، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي .
١٠- الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة ودار الثقافة ، ط٣ ، ١٩٨٣.
١١- عندما تحترق القناديل ، حسن عبد الله القرشي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٤.
١٢- فلسفة الجسد ، د. جلال الدين سعيد ، تونس ، ط٢، ١٩٩٣.
١٣- المكان والرؤية الإبداعية ، د. نادية غازي العزاوي ، مجلة آفاق عربية ، ٣ ، ٤ ، ١٩٨٩ .
١٤- من الغربة حتى وعي الغربة ، فوزي كريم ، مديرية الثقافة العامة ، كتاب الجماهير (١٣) ١٩٧٢، دار الحرية للطباعة ، بغداد .
١٥- نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ريكان ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٩، ط١.